مقدمة

إنّ الحمد لله ، نَحْمَدُهُ ، ونَسْتَعِينُهُ , ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا , ومن سيئات أعمالنا , من يهده الله فلا مضل له , ومن يضلل فلا هادي له , وأشهد أنْ لا إله إلا الله, وحده لا شريك له , وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً – .

أما بعد :

فتعد علوم اللغة العربية من أهم المصادر في فهم كتاب الله تعالى, ولقد أدرك علماؤنا أهمية هذا الموضوع؛ فبذلوا أغلب ما في وسعهم في خدمة هذه اللغة .

ومن هنا رأيت أن يكون موضوع دراستي دراسة لجهود عالم من علماء هذا العصر، ألا وهو الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله؛ ونظراً لشهرة هذا العالم في علوم أخرى كالعقيدة ، والتفسير , والفقه ؛ أحببت إبراز هذا الجانب عنده فكان أحد أسباب اختياري لهذا البحث , وجعلته بعنوان :

(فصاحة الكلام، شروطها، والعيوب المخلّة بها عند الشيخ ابن عثيمين)

وتتلخص دوافع اختيار هذا الموضوع فيما يأتي :

١– اهتمام الشيخ رحمه الله بعلوم اللغة العربية ولا سيما علوم البلاغة , فقد كان بارزاً فيها ، مثلما كان بارزاً في العقيدة , والتفسير , والفقه ، وغيرها .

٢- ظهور شخصية الشيخ في عرض المسائل ومناقشتها , إذ لم يعتمد على مجرد النقل بل على الفهم ودقة الاستنباط أيضاً.

٣- الدراسة والاطلاع على جهود الشيخ ابن عثيمين وآثاره العلمية ولاسيما علوم العربية.

وتتكون خُطة البحث من مقدمة , وتمهيد , ومبحثين , وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

ولتوثيق كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى سلكت الطريقة الآتية :

ما كان في الكتب المطبوعة وثّقته منها بذكر الجزء – إنْ وجد– ورقم الصفحة , وحرصت أنْ يكون أكثر تمثيلي من هذه الكتب المطبوعة .

وأمّا بقية الكتب الأخرى للشيخ – أعني الكتب التي لم تطبع– ، فإنْ كان الكتاب المؤلَّف تفسيراً لسور القرآن الكريم فطريقتي في الإحالة إليه هي أنْ أذكر اسم السورة ورقم الآية المفسَّرة ؛ إذ لا يوجد هناك صفحات يمكن الإحالة عليها ؛ فقد سُجّل تفسير هذه السور على أشرطة صوتية , وسُجّل أيضاً على أقراص مدمجة (CD) , ومن الجدير بالذكر أنَّ موقع الشيخ ابن عثيمين يقدم على الشبكة العالمية (الانترنت) خدمة سماع هذه التفاسير من خلال الموقع مباشرة .

وصلى الله وسلَّم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التمهيد

ابن عثيمين، حياته وآثاره

هو أبو عبد الله، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان، من آل مقبل من آل ربّس، الوهيبي التميمي [١].

ولد الشيخ في (٢٧/ رمضان / ١٣٤٧هـ) في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم.

وأبرز شيوخه :

١ – الشيخ المفسر عبد الرحمن بن ناصر السعدي من التميمي ، ولد في قرية عنيزة في مدينة القصيم عام (١٣٠٧هـ) ، وكان ذا معرفة تامة في الفقه – أصوله وفروعه–، وألّف تفسيراً جليلاً سماه : (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، توفي في مدينة عنيزة من بلاد القصيم عام (١٣٧٦هـ)[٢] .

٢ – الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ولد سنة(١٣٣٠هـ) بمدينة الرياض ، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة العربية عين في القضاء عام (١٣٥٠هـ) ، له مؤلَّفات جليلة على الرغم من كثرة مشاغله ، دَرَسَ على يديه الشيخُ ابن عثيمين الحديثَ عندما كان مواصلاً لدراسته النظامية في الرياض، فقرأ عليه صحيح البخاري وبعض كتب الفقه .

---

[١] ينظر : الجامع لحياة الشيخ ابن عثيمين : ١٠ .

[٢] ينظر : حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي في سطور : ١١ ، وما بعدها .

توفي رحمه الله تعالى فجر يوم الخميس (٢٧ / محرم /١٤٢٠هـ)، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة[٣] .

٣ – الشيخ المفسّر اللغوي الأصولي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، صاحب التفسير المشهور (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) ، وقد دَرَسَ على يديه الشيخُ ابن عثيمين في المعهد العلمي بالرياض . ولد الشنقيطي بشنقيط (موريتانيا) عام (١٣٢٥هـ) وتوفي بمكة يوم الخميس (١٧ / ذي الحجة/١٣٩٣هـ)[١] .

أما طلاب الشيخ ابن عثيمين فقد كثر عددهم لاسيما عام (١٤٠٦هـ)، حتى وصل العدد في المجلس الواحد في مسجده إلى أكثر من ستمئة طالب على مختلف المستويات، ما بين أستاذ جامعي أو طبيب أو مفرغ لطلب العلم أو نحو ذلك[٢]

صنّف الشيخ رحمه الله تعالى في شتى المجالات ، من مسموع أو مكتوب ، في العقيدة ، والفقه ، والحديث، والنحو ، والبلاغة، وغيرها .

ومن هذه المؤلَّفات :

١. شرح الآجرومية في النحو.

---

[٣] ينظر : جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز : ٣٣ ، وما بعدها .

[١] ينظر : الجامع لحياة الشيخ ابن عثيمين : ٤٨ ، وما بعدها.

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ٥٠ ، وما بعدها .

٢. شرح ألفية ابن مالك في النحو .

٣. شرح الدرة اليتيمة في النحو .

٤. شرح دروس البلاغة .

٥. قواعد في الإملاء .

٦. مختصر مغني اللبيب .

وفي (١٥ / شوال/ ١٤٢١هـ) توفي الشيخ ابن عثيمين في مدينة جده رحمه الله تعالى[٣].

---

[٣] ينظر : نفسه : ١٧٩ ، وما بعدها .

المبحث الأول

شروط فصاحة الكلام عند ابن عثيمين

لفظة الفصاحة في اللغة تدلُّ على معنى البيان والإفهام وانطلاق اللسان[١] .

ووضع القزويني(ت٧٣٩هـ) شروطاً لفصاحة اللفظة المفردة ، وهي خلوصها من: (تنافر الحروف، ومخالفة القياس اللغوي، والغرابة)[٢] :

١- تنافر الحروف :

إنَّ تنافر الحروف في الكلمة يُعَدُّ غيرَ فصاحة، ومنه لفظة (الهعخع)، ولفظة (مستشزرات)[٣].

قال ابن عثيمين : ((التنافر: أنْ يصعُب النطق بها مجتمعة)).

ثم وقف الشيخ عند أمثلة تنافر الحروف ومنها لفظة (الهعخع)، و(الظّشّ)، و(النُّقَاخ)، و(المستشزر)، فقال عن اللفظة الأولى : ((هذه فيها تنافر حروفٍ ؛ لأنَّه يصعب النطق بها ؛ إذ إنَّ كلَّ حرفٍ لا يتلاءَمُ بما بعده. (الظّشّ) أهون منها ، يعني (الظش) ليس فيه تنافر كثير))[٤] .

---

[١] ينظر : لسان العرب : ١٠ /٢٧٠ ، مادة (فصح) .
[٢] ينظر : الإيضاح : ١١ .
[٣] ينظر : المصدر نفسه : ١١ .
[٤] شرح دروس البلاغة : ١٧ (ط ١ ، غراس – الكويت) .

٢- مخالفة القياس :

ومنه قول المتنبي (ت٣٥٤هـ)[٥] : [الطويل]

فإنْ يكُ بعضُ الناسِ سَيْفاً لدولةٍ ففي الناس بُوقَاتٌ لها وطُبُولُ

قال الشيخ ابن عثيمين: ((الفك في موضع الإدغام يُعتَبر غيرَ فصاحة ؛ لمخالفة القياس، كذلك (أبواق) إذا قال : بوقات ، فهذا مخالف للقياس ؛ لأنَّ القياس أنْ يُجمع على (أبواقٍ) لا على (بوقاتٍ)))[١] .

٣- الغرابة :

غرابتها بحيث لا تُستعمل إلا قليلاً ، فهي غير فصيحة لغرابتها[٢].

ومنه قول الحريري (ت٥١٦هـ) في مقاماته[٣] : [البسيط]

وطالما مَرَّ بي كلبٌ وفي فَمِهِ ثَوْرٌ ولكنَّه ثَوْرٌ بلا ذَنَب

قال ابن عثيمين : ((الثوْر : هو قُرْصُ البَقْلِ ، هذا يسمى ثوراً في اللغة العربية ، لكن التعبير عنه بكلمة (ثَوْرٍ) غريبٌ ، فيُعتَبر هذا غير فصيح))[٤] .

أما شروط فصاحة الكلام فهي سلامته من :

---

[٥] شرح ديوان المتنبي : ١٦٨/٣ .

[١] شرح دروس البلاغة : ١٤- ١٥ (ط ١ ، دار إيلاف – الكويت) .

[٢] ينظر: المصدر نفسه : ١٩ (ط ١ ، غراس – الكويت) .

[٣] مقامات الحريري : ٤٤٠ .

[٤] شرح دروس البلاغة : ١٩ (ط ١ ، غراس – الكويت) .

١- تنافر الكلمات :

والتنافر هنا نوعان[٥] :

أ- تنافر شديد الثقل :

ومنه[٦] : [الرجز]

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْر وليس قُربَ قَبْرِ حَربٍ قَبْر

قال ابن عثيمين: ((قول الشاعر : (وليس قُربَ قَبْرِ حَربٍ قَبْر) فكلمة (قُرْب ، وقَبْر) ليس فيهما تنافرٌ بالنسبة للكلمة الواحدة ، لكن بالنسبة لضمِّ الكلمات بعضها إلى بعض يكون تنافرٌ ، فيقال : الكلام غير فصيح لتنافر كلماته))[١] .

ب- تنافر خفيف الثقل :

ومنه قول الشاعر[٢] : [الطويل]

كريمٌ متى أمْدَحْهُ أمْدَحْهُ وَالوَرَى معي وإذا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

قال ابن عثيمين: ((البيت قويٌّ جدًّاً في الثناء على الممدوح ، لكنَّه من جهة البلاغة غيرُ فصيحٍ ؛ لأنَّ كلماتَه مُتنافِرةٌ))[٣] .

---

[٥] ينظر : الإيضاح : ١٤ .

[٦] ينظر : البيان والتبيين : ٦٥/١ ، دلائل الإعجاز : ٥٧ .

[١] شرح دروس البلاغة : ١٦- ١٧ (ط ١ ، دار إيلاف - الكويت) .

[٢] ديوان أبي تمام : ١١٤ .

وقال القزويني من قبل: ((فإنَّ في قوله : أمدحه ثِقَلاً ما ؛ لِمَا بين الحاء والهاء من تنافر))[٤] .

٢- ضعف التأليف :

وهو مجيء الكلام على خلاف المشهور بين جمهور النحاة ، وليس على خلاف ما اتفقوا عليه[٥]، ((فلو كان غيرَ جارٍ على القانون النحويّ المتفق عليه فهذا لا يَصِحُّ أصلاً ، فلا يقال : إنَّه كلامٌ غيرُ فصيحٍ، بل يقالُ : إنَّه غيرُ كلامٍ ، وغيرُ صحيح . مثلاً : لو قال قائل : قائم زيداً . فهذا غيرُ جارٍ على القانون النحويّ ، الذي هو أنَّ الفاعلَ من مرفوعات الأسماء ، لكنَّ هذا القانون مُجْمَعٌ عليه))[٦] .

٣- التعقيـد :

والتعقيد هنا نوعان :

أ – التعقيد اللفظي :

---

[٣] شرح دروس البلاغة : ١٧ (ط ١ ، دار إيلاف – الكويت) .

[٤] الإيضاح : ١٤ .

[٥] ينظر : التعريفات : ١٤١ .

[٦] شرح دروس البلاغة : ١٧– ١٨ (ط ١ ، دار إيلاف – الكويت) .

((فإذا كان الكلام معقداً فليس بفصيح ، سواءٌ كان التعقيد لفظياً ؛ كالتقديم والتأخير ، الذي يصعُبُ به فهمُ المعنى ، أم معنوياً))[١] .

ومن ذلك قول المتنبي[٢] : [الكامل]

جَفَخَتْ وَهُمْ لا يَجْفخونَ بهِا بهِمْ شِيَمٌ على الحَسَبِ الأَغَر دَلاَئِلُ

قال الشيخ ابن عثيمين: ((قوله : جَفَخَتْ . أي : عَلَتْ ، وهو فيه شيءٌ من نقص البلاغة وهو الغرابةُ ، إذ إنَّ هذا اللفظ لا يستعمل بهذا المعنى .

وقوله : وهم لا يجفخون بها بهم . هذا كلامٌ معقدٌ ، وأصلُ البيتِ: جفختْ بهم وهم لا يجفخون بها . فـ (بهم) متعلِّقةٌ بـ (جَفَخَتْ) ، و (بها) متعلِّقةٌ بـ (يجفخون) . والمعنى : أنَّ هذه الشِّيَم عَلَتْ بهم ، وهم لا يَعْلُونَ بها ؛ لأنَّهم أشرفُ منها ، وأَعْلَى))[٣] .

ب- التعقيد المعنوي :

وهو أن ((يأتي بكلماتٍ بعيدةٍ عن المراد ، نحو قولك : نشر الملكُ ألسنته في المدينة. لو أراد بقوله : ألسنته خطباءَهُ لكانت فصيحةً غير معقدةٍ ، لكنَّه يريد جواسيسه ، وهذا غيرُ فصيحٍ ؛ لأنَّه بعيدٌ عن المعنى ؛ إذ إنَّ

---

[١] شرح دروس البلاغة : ٢٠ (ط ١ ، دار إيلاف – الكويت) .

[٢] شرح ديوان المتنبي : ٢٧٣/٣ .

[٣] شرح دروس البلاغة : ٢٠ (ط ١ , دار إيلاف – الكويت) .

الجواسيس يُسَمَّوْن عُيوناً ؛ لأنَّ الجاسوسَ ينظرُ في الملامح ، وفي الأشياء التي تُعدُّ قرائن .

فالمهم : أنَّه إذا قال : نشر الملك ألسنته في المدينة ، يُريدُ الجواسيس ، فهذا الكلامُ غيرُ فصيحٍ ؛ لأنَّ فيه تعقيداً معنوياً ؛ إذ إنَّ الألسنة لا يُعبَّرُ بها عن الجواسيس))[1] .

---

[1] شرح دروس البلاغة : ٢٠- ٢١ (ط ١ ، دار إيلاف - الكويت) .

المبحث الثاني

العيوب المخلّة بفصاحة الكلام عند ابن عثيمين

أورد الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى جملة من عيوب الكلام ، منها على سبيل المثال :

أولاً : التشدق :

هذه المادة (الشين والدال والقاف) أصل يدلُّ على انفراج في شيء، من ذلك الشِّدق لإنسان وغيره[١] .

وهنا يرى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى أن من أراد التكلم مع عوام الناس فعليه أن يتكلم بلغتهم التي يعرفونها ، وأن لا يغرب في الكلمات معهم ، أي أنَّك لا تأتي بكلمات غريبة تشكل عليهم ، فإنَّ ذلك من التشدق في الكلام الذي جاء النهي عنه[٢] في قوله – صلى الله عليه وسلم – : ((إنَّ مِنْ أحَبِّكُم اليَّ ،وأقربِكُم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسِنَكَم أخْلاقاً ، وإنَّ من أبغضِكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدِّقون والمتفيهقون ، قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين ، فما المتفيهقون؟ قال :(المتكبرون)))[٣].

---

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة : ٣/ ٢٥٥ ، مادة (شدق) .
(٢) ينظر : شرح رياض الصالحين : ٢/ ٤٣٩ .
(٣) أخرجه الترمذي ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق : ٢/ ١٩٦ .

وقف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى عند هذا الحديث النبوي معلقاً وموضحاً فقال : ((المتشدق : هو الذي يتكلم بملء شدقيه ، تجده يتكلم وكأنَّه أفصح العرب تكبراً وتبختراً ، ومن ذلك : أن يتكلم باللغة العربية أمام العامة ، فإن العامة لا يعرفون اللغة العربية، لو تكلمت بينهم باللغة العربية لعدوا ذلك من باب التشدق في الكلام والتنطع، أمَّا إذا كنت تدرس الطلبة فينبغي أن تتكلم باللغة العربية ؛ لأجل أن تمرنهم على اللغة العربية وعلى النطق بها ، أمَّا العامة الذين لا يعرفون فلا ينبغي أن نتكلم بينهم باللغة العربية ، بل تكلم معهم بلغتهم التي يعرفون ، ولا تغرب في الكلمات ، يعني لا تأتي بكلمات غريبة تشكل عليهم، فإنْ ذلك من التشدق في الكلام))[١] .

وهذه المعاني أشار إليها العلماء قبل الشيخ ابن عثيمين ، كابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في قوله : ((أمَّا ما جاء عنه في المتشادقين ، فإنَّه أراد الذين يتشادقون إذا تكلموا ، فيميلون بأشداقهم يميناً وشمالاً ، ويتنطعون في القول))[٢] .

(١) شرح رياض الصاحين : ٢/ ٤٣٩ .
(٢) غريب الحديث : ١/ ٤٩٦ .

وذكر ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) أنَّ المتشدقين هم ((المُتَوسِّعون في الكلام من غير احتياطٍ واحتراز))[١] .

أمَّا الإمام النووي (ت٦٧٦هـ) فيرى أنَّ المتشدِّق هو ((المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصُحاً وتعظيماً لكلامه))[٢] .

وقيل : إنَّه تكلف السجع والفصاحة [٣] ، والله أعلم .

ثانياً : **الثرثرة** :

الثرثرة هي كثرة الكلام وترديده ، ورجل ثرثار ، أي كثير الكلام[٤] .

وهذا العيب – من عيوب الكلام – ورد النهي عنه في حديث جابر –رضي الله عنه– السابق وقد أشار إليه الشيخ ابن عثيمين قائلاً : ((الثرثارون : الذين يكثرون الكلام ويأخذون المجالس عن الناس ، فإذا جلس في المجلس أخذ الكلام عن غيره ، وصار كأن لم يكن في المجلس إلاَّ هو ، ولا يدع غيره يتكلم وهذا لا شك أنه نوع من الكبرياء .

لكن لو فرضنا أن أهل المجلس فوضوه وقالوا : أعطنا نصيحة، أعطنا موعظة ، فتكلم فلا حرج ، إنما في الكلام العادي لا يصح أن تملك المجلس ولا

---

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٢/ ٤٥٣ .
(٤) رياض الصالحين : ١٩٧ .
(٥) ينظر : دليل الفالحين : ٥ / ١٠٧ .
(١) ينظر : لسان العرب : ٢/ ٩٢ ، مادة (ثر) .

تدع أحداً يتكلم ، حتى إنَّ بعض الناس يحب أن يتكلم لكن لا يستطيع أن يتكلم ، يخشى من مقاطعة هذا الرجل الذي ملك المجلس بكلامه))[١] .

وبهذا قال العلماء من قبل ، فهذا ابن الأثير وقف عند الحديث النبويّ شارحاً لهذه اللفظة فقال : ((هم الذين يكثرون الكلام تَكَلُّفاً وخروجاً عن الحقِّ . والثرثرة : كثرة الكلام وترديده))[٢].

وبهذا قال النووي أيضاً [٣] .

ثالثاً : **التفيهق** :

هذه المادة ((الفاء والهاء والقاف أصل صحيح يدلُّ على سَعَةٍ وامتلاء))[٤] . والمتفيهق هو كثير الكلام المتوسع فيه الذي يفهق في كلامه ويملأ به فمه[٥] .

وهذا أيضاً عيب من عيوب الكلام ورد النهي عنه في حديث جابر – رضي الله عنه – السابق، قال الشيخ ابن عثيمين : ((أمَّا المتفيهقون : فقد وصفهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بالمتكبرين ، المتكبر الذي يتكبر على الناس ويتفيهق ،

---

(٢) شرح رياض الصالحين : ١/ ٤٣٩ .
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر : ١/ ٢٠٩ .
(٤) ينظر : رياض الصالحين : ١٩٧ .
(١)معجم مقاييس اللغة : ٤/ ٤٥٦ ، مادة (فهق) .
(٢) ينظر : لسان العرب: ١٠ / ٣٤٢ ، مادة (فهق) .

وإذا قام يمشي كأنَّه يمشي على ورق من تكبره وغطرسته ، فإنَّ هذا لا شك خلق ذميم ، ويجب على الإنسان أن يحذر منه ؛ لأنَّ الإنسان بشر فينبغي أن يعرف قدر نفسه ، حتى لو أنعم الله عليه بمال ، أو أنعم عليه بعلم ، أو أنعم عليه بجاه ، ينبغي أن يتواضع ، وتواضع هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالمال والعلم والجاه أفضل من تواضع غيرهم ، ممن لا يكونون كذلك))[١] .

أما الإمام النووي فقد قال : ((والمتفيهق : أصله من الفَهْق : وهو الامتلاء ، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ، ويتوسع فيه ، ويُغْرب به تكبراً وارتفاعاً ، وإظهاراً للفضيلة على غيره))[٢]، فيأتي بالزائد على الحاجة من الكلام على سبيل الإطناب ، ويأتي بالألفاظ الوحشية الغريبة غير المألوفة في الكلام تكبراً وتظاهراً بالاطلاع على غريب الألفاظ[٣] .

رابعاً : العي :

العي هو العجز عن الحجة وعن الأمر وضبطه وعدم الاهتداء لهما ، وهو خلاف البيان[٤] .

---

(٣) شرح رياض الصاحين : ١/ ٤٣٩ .
(٤) رياض الصالحين : ١٩٧ .
(٥) ينظر : دليل الفالحين : ٥/ ١٠٨ .
(١) ينظر : لسان العرب : ٩ / ٥١٠ ، مادة (عيا) .

والعي عند الشيخ ابن عثيمين أيضاً خلاف البيان والفصاحة ، وقد جعله الشيخ رحمه الله أحد الأمور الأربعة التي تجعل الباطل يعلو على الحق عند مجادلة الخصوم ، فقد يُغلب الشخص لعي عنده وعدم قدرة على البيان عما في نفسه بأبين عبارة وأفصحها، وهذا ما أشار إليه الشيخ عند استنباطه الفوائد من قوله تعالى : ﴿ يُوسُفَ الرَّعۡدِ إِبۡرَٰهِيمَ الۡحِجۡرِ النَّحۡلِ الإِسۡرَاءِ الۡكَهۡفِ مَرۡيَمَ طٰهٰ الأَنبِيَاءِ الۡحَجِّ الۡمُؤۡمِنُونَ النُّورِ الۡفُرۡقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمۡلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقۡمَانَ السَّجۡدَةِ الأَحۡزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ ﴾ غافر: ٥٦ . فقال : ((... وقد يكون لعي ، ومعنى العي أنَّه ليس عنده من البيان والفصاحة ما يؤدي إلى الغلبة ؛ لأنَّ البيان والفصاحة لهما تأثير كبير ، في إثبات الحق ، فلقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (إنَّ من البيان لسحراً)[1] ، فهذه الأمور الأربعة هي التي قد تجعل الباطل يعلو ظاهراً على الحق ، ولأربعة هي : إمَّا قلة العلم ، أو عي عن التعبير عما في نفسه ، سوء قصد،

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب النكاح ، باب الخطبة : ٧/ ٢٥ ، ومسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة : ٣/ ١٢ .

الرابع : قصور فهمه ، هذه الأربعة هي التي تجعل من الباطل مناراً ظاهرا على الحق ، وأمَّا الحق نفسه فلا يمكن إطلاقاً أن يغلبه الباطل))[١] .

وهذا العيب من عيوب الكلام أشار إليه الشيخ ابن عثيمين أيضاً عند تعليقه على قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : ((إنَّ من البيان لسحراً))[٢] .

فقال : ((قوله : (إنَّ من البيان لسحراً) ، هل هذا على سبيل الذم ، أو على سبيل المدح ، أو لبيان الواقع ثم ينظر إلى أثره ؟

الجواب : الأخير هو المراد؛ فالبيان من حيث هو بيان لا يمدح عليه ولا يذم ، ولكن ينظر إلى أثره ، والمقصود منه ، فإنْ كان المقصود منه إثبات الحق وإبطال الباطل ؛ فهو ممدوح وإذا رد الحق وأثبت الباطل؛ فهو مذموم ؛ لأنَّه استعمال لنعمة الله في معصيته ، وإن كان البيان يستعمل في طاعة الله وفي الدعوة إلى الله فهو خير من العيّ ، لكن إذا ابتُلِيَ الإنسان ببيان ليصد الناس عن دين الله ؛ فهذا لا خير فيه ، والعيُ خير منه ، والبيان من حيث هو لا شك أنَّه نعمة ، ولهذا امتن الله به على الإنسان ؛ فقال تعالى :﴿ ﴿ ﴾ ﴾ الرحمن: ٤ .

---

(٣) تفسير سورة غافر ، الآية (٥٦) .

(١) تقدم تخريجه ص ١٤ .

خامساً : **التنطع** :

هذه المادة : ((النون والطاء والعين أصل واحد يدلُّ عل بسطٍ في شيء ومَلاَسَة ... والتنطع في الكلام : التعمق ، وهو قياسه ؛ لأنَّه تبسط فيه))[١] .

وهذا العيب أشار إليه الشيخ ابن عثيمين عند تعليقه على قوله – صلى الله عليه وسلم–: (((هَلَكَ المُتَنَطِّعونَ) قالها ثلاثاً))[٢] .

فقال رحمه الله : ((قوله : (المتنطعون) : المُتَنَطِّع : هو المتعمق المتقعِّر المتشدِّق ، سواء كان في الكلام أو في الأفعال ؛ فهو هالك ، حتى ولو كان ذلك في الأقوال المعتادة ؛ فبعض الناس يكون بهذه الحال ، حتى إنَّه ربما يقترن تعمقه وتنطُّعه الإعجاب بالنفس في الغالب ، .... والتنطع بالأفعال كذلك أيضاً قد يؤدي إلى الإعجاب أو إلى الكبر ، ولهذا قال : (هلك المتنطعون) . والتنطع أيضاً في المسائل الدينية يشبه الغلو فيها ؛ فهو أيضاً من أسباب الهلاك، ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من التنطع في صفات الله تعالى والتقعر

---

(٣) معجم مقاييس اللغة : ٥/ ٤٤٠ ، مادة (نطع) .

(١) أخرجه الإمام مسلم عن ابن مسعود – رضي الله عنه – كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون : ٨/ ٥٨ .

فيها ، حيث يسألون عما لم يسأل عنه الصحابة – رضي الله عنهم –، وهم يعلمون أنَّ الصحابة خير منهم وأشد حرصاً على العلم ، وفيهم رسول الله الذي عنده من الإجابة على الأسئلة ما ليس عند غيره من الناس مهما بلغ علمهم))[١] .

وقال أيضاً : ((التنطع معناه : التشدق بالشيء والتعمق فيه ، وهو من أنواع الغلو))[٢].

ومن كلام الشيخ ابن عثيمين هنا يتبين أنَّ التنطع – عنده – ليس مقصوراً على عيوب الكلام فقط بل إنَّه يشمل التنطع في الأفعال أيضاً ومنه الغلو في المسائل الدينية، فالتنطع المنهي عنه في هذا الحديث النبوي يشمل التنطع في القول والتنطع في الفعل على ما يرى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله .

وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير من قبل، إذ علق على هذا الحديث النبوي قائلاً : ((هم المُتَعمِّقون المُغالون المُخالفون في الكلام ، المتكلمون بأقصى حُلوقِهم مأخوذ من النِّطع ، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم اسُتعمل في كل تَعَمُّق ، قولاً وفعلاً))[٣] .

---

(٢) القول المفيد : ١/ ٣٧٧ – ٣٧٨ .

(٣) المصدر نفسه : ١/ ٣٩١ .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٥ / ٧٤ .

وبهذا قال النووي أيضاً[١] .

(٢) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦/ ٢٢٠ .

الخاتمة

تأتي الخاتمة هنا لتسجل أهم النتائج التي تم التوصل إليها :

١- اشترط العلماء لفصاحة اللفظة المفردة خلوها من : تنافر الحروف ، والغرابة ، ومخالفة القياس اللغوي .

٢- واشترطوا لفصاحة الكلام أن يكون خالياً من : تنافر الكلمات ، وضعف التأليف ، والتعقيد .

٣- كان ابن عثيمين معتنياً بفصاحة الكلام ، متميزاً بها ، وهذه الدراسة قد ساهمت في إبراز جزء من هذا الجانب المهم عند الشيخ رحمه الله تعالى .

٤- إنّ إلمام ابن عثيمين بفنون الفصاحة ومعرفته بأساليب كلام العرب ، كلّ ذلك نمّى عنده ملكة النقد والتمييز بين السليم والسقيم من الأساليب العربية .

٥- بيّن البحث سعة علم الشيخ ابن عثيمين ودقة فهمه وإلمامه الواسع بالأساليب الفصيحة وتذوق مواطن الجمال فيها ، وملاءمتها للأسلوب، ومزيتها في المعنى .

وبعد فهذه جملة من نتائج هذه الدراسة ، والله اسأل أن يتم عليَّ نعمته ، وأن يوفقني للعمل الصالح ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنه

وليّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

المصادر والمراجع

٠- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) , لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) , شرح وتحقيق , أ.د. محمد عبد المنعم خفاجي , مكتبة المعارف – الرياض , ط/١ , ١٤٢٦هـ .

١- البيان والتبيين , لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) , تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ت١٤٠٨هـ) , مكتبة الخانجي بالقاهرة , ط/٥ , ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢- التعريفات , للسيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت٨١٦هـ) ، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود , دار الكتب العلمية – بيروت , ط/٢ , ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٣- تفسير سورة غافر ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) ، تسجيل صوتي .

٤- الجامع الصحيح , لأبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) , منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت .

٥- الجامع لحياة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين , العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي , بقلم تلميذه وليد بن أحمد الحسين الزبيري , سلسلة إصدارات مجلة الحكمة – بريطانيا , ط/١ , ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

٦- جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز ، رواية الشيخ محمد بن موسى الموسى ، إعداد محمد بن إبراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة – الرياض ، ط/١ ، ١٤٢٣هـ .

٧- حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي في سطور ، جمع وإعداد أحمد بن عبد الله بن علي القرعاوي ، مكتبة الأمة – القصيم ، ط/١ ، ١٤١٣هـ .

٨- دلائل الإعجاز , لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) , قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر , الناشر مطبعه المدني – القاهر , دار المدني بجده, ط/٣ , ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٩- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين , لمحمد بن عَلّان الصديقي الشافعي المكي (ت١٠٥٧هـ) , دار الكتاب العربي – بيروت .

١٠- ديوان أبي تمام ، شرح وتعليق د . شاهين عطية ، مراجعة بولس الموصلي، مكتبة النهضة – بغداد ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني – بيروت ، ط/١ ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م .

١١- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، مكتبة الصفا-القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ .

١٢- شرح دروس البلاغة , , للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) , اعتنى بهما محمد ابن فلاح المطيري , مكتبة أهل الأثر, غراس للنشر والتوزيع – الكويت , ط/١ , ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٣- شرح دروس البلاغة , , للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) , تحقيق الأستاذ أشرف ابن يوسف , تقريظ الأستاذ د . عبد الغني بن عبد الجليل , دار إيلاف الدولية – الكويت , ط / ١ , ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

١٤- شرح ديوان المتنبي , لعبد الرحمن البرقوقي , دار الكتب العلمية بيروت , ط / ١ , ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

١٥- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين , للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) , ضبط نصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه , د. محمد حسن ومحمود حسن محمود , دار الكتب العلمية – بيروت , ط / ٣ , ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

١٦- صحيح البخاري ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي .

١٧- صحيح سنن الترمذي باختصار السند , للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ) , أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير الشاويش , مكتب التربية العربي لدول الخليج , ط/١ , ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

١٨- صحيح مسلم بشرح النووي , للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت٦٧٦هـ) , تحقيق طه عبد الرؤف سعد , المكتبة التوفيقية – مصر .

١٩- غريب الحديث ، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق د. عبدا لله الجبوري ، مطبعة العاني – بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ .

٢٠- القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) ، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ، دار ابن رجب ، ج١ ، ط/١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ، وج٢ ، ط/٢ ، ١٤٢٤هـ .

٢١- لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) ، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي , دار إحياء التراث العربي – بيروت , ط/٣ .

٢٢- مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكّاكي (ت٦٢٦هـ) , حقّقه وقدّم له وفهرسه د. عبد الحميد هنداوي ,دار الكتب العلمية – بيروت , ط/١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢٣- مقامات الحريري , المسمى بالمقامات الأدبية , لأبي محمد القاسم ابن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري (ت٥١٠هـ) , دار إحياء التراث العربي – بيروت , ط/٣ .

٢٤- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ), تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون (ت١٤٠٨هـ) , دار الكتب العلمية , إيران – قم .

٢٥- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (ت٦٠٦هـ) , تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي , المكتبة العلمية – بيروت .